من أين يأتى البحر

صلاح والى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة إبداعات معاصرة أدباء مصر فى الأقاليم)
بالإشتراك مع الهيئة العامة لقصور الثقافة

من أين يأتي البحر
صلاح والى

الغلاف والإشراف الفنى:
للفنان: محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد

الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد

المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

السيدة التى جعلت من الكتاب وطنًا !

د. سمير سرحان

مرت عشر سنوات منذ إنشاء «**مكتبة الأسرة**» وأذكر أنه كان يومًا مشهودًا، حين جلسنا مع عدد من المثقفين والوزراء والمفكرين حول تلك السيدة العظيمة التى كانت عيناها تشخص إلى السماء حيث أحلام كثيرة تدور بذهنها الذى لا يتوقف عن التفكير أبدًا.

كانت منذ سنوات قد أنهت رسالتها من الماجستير، التى كان من نتائجها ضرورة إصلاح أحوال المدارس الابتدائية، ورفع مستواها العلمى والتعليمى، وحتى مستوى الأبنية والخدمات.. فكان الأساس فى ذهنها، كما أدركت بعد ذلك معظم الدول الكبرى أن العملية التعليمية هى أهم ما يميز الأوطان، وأن الطفل الذى يمثل البذرة الأولى فى بناء مستقبل أى وطن هو البداية الحقيقية، كنا نتعجب جميعًا فى صمت ونحن جالسون حول تلك المائدة الصغيرة.. لماذا لم يفكر أحد من قبل فى الطفل، ولا أعنى صحته فقط، أو ما قد يصيبه من أمراض، أو مستوياته الاقتصادية

والاجتماعية.. لماذا لم يفكر أحد فى الطفل الإنسان؟! أى فى عقل الطفل ووجدانه، والانطباعات المختلفة، التى يكتسبها من عملية التعلم، وبخاصة من القراءة الحرة، وليس قراءة الكتب المدرسية فقط.

وكان الطفل المصرى فى ذلك الوقت معتادًا أن يمسك بالكتاب المدرسى ويصب عليه كل ما فى طاقته من كره وسخط، ويحفظه حفظًا آليًا بلا فهم، ويُفرّغ هذا الفهم على الورق لينجح وينتقل من سنة دراسية إلى أخرى، أما فى آخر السنة فكانت العادة أن يرمى الكتاب المدرسى من النافذة، كأنه قد تخلص من عبء ثقيل.

كانت السيدة العظيمة، التى قُدّر لها أن تعنى بمستقبل مصر، وأن تكرس حياتها لبناء هذا المستقبل، تفكر فى الطفل كإنسان، وكعقل، وكروح... لقد اكتشفت أن كل ذلك لا يأتى إلا بالقراءة، والقراءة خارج المقرر الدراسى، كما لا يأتى أيضًا إلا من خلال كتاب يوضع فى يده ليحبه شكلاً ومضمونًا، ويحتضنه فى سريره وهو نائم، ويطلق من خلال المادة التى يقرؤها فيه، العنان لخياله، فيسافر من خلال هذا الكتاب إلى عالم سحرى من الأماكن والأفكار والمشاعر والرؤى.

لمعت العينان الذكيتان بعمق الفكرة، وأهميتها لوطن يبنى نفسه ويضع نفسه على مشارف القرن الحادى والعشرين، وبعد أربع سنوات من افتتاح المكتبات العامة فى الأحياء الفقيرة والمُعدَمة،

كانت الفكرة الرائدة قد اكتملت فى ذهنها فأصبحت سوزان مبارك صاحبة أعظم مشروع ثقافى فى القرن العشرين وأوائل الحادى والعشرين.. «**مكتبة الأسرة**».

وكانت فكرة مكتبة الأسرة بسيطة وعميقة فى نفس الوقت، وهى أن نقوم بغرس عادة القراءة فى نفوس ملايين أبناء الشعب الذين لم يكن الكتاب من قبل جزءًا من حياتهم.. وأعتقد أن هذا الهدف قد نجح تمامًا، فقد كان بعض من يسخرون من الشعب المصرى، محاولين الحط من قدره يصفونه بأنه شعب **الفول والطعميه**، وأعتقد أنه الآن وبعد عشر سنوات من صدور مكتبة الأسرة، أصبحوا يسمونه بلا تردد شعب الكتاب والقراءة والعلم والمعرفة.. لكن الهدف الأعمق والأسمى كان إعادة بعث التراث الأدبى والفكرى والعلمى والإبداعى الحديث لهذه الأمة، وهذا يؤكد بالفعل لا بالكلام ريادتها وقيادتها الثقافية والفكرية فى عالمنا العربى، كما يؤكد عظمة ما جاء به عصر التنوير المصرى لينقل العالم العربى كله من عصور الظلام المملوكية والاستعمارية إلى شعوب تعيش عصر العلم والتقدم، وتبنى شخصيتها الثقافية وحضورها الثقافى على مدى العالم..

وها قد أصبحت مكتبة الأسرة بعد عشر سنوات من الجهد المضنى والمتواصل تقدم أكثر من عشرة ملايين كتاب موجودة الآن فى كل بيت مصرى، تحمل صورة السيدة التى فكرت ونفذت هذه

الذخيرة من الفكر والإبداع التى تثرى عقل ووجدان كل مواطن طفلاً كان أم شابًا، ليس فى مصر فقط، وإنما فى العالم العربى كله.. وأصبحت المادة التى تضمها هذه الكتب هى أساس راسخ لتكوين مواطن المستقبل، وأصبحت معظم الدول العربية والمؤسسات الدولية تطلب تطبيق التجربة المصرية على أرضها.

هل كان مجرد حلم لسيدة عظيمة شخصت بنظرها إلى السماء باحثة عن المستحيل، أم كان مجرد حلم رائع، هائل القيمة والحجم وتحقق.. تحية لهذه السيدة العظيمة «**سوزان مبارك**»، واحترامًا وحبًا بلا حدود على قدرتها لتخيل المستقبل، وبناء إنسان جديد لوطن جديد.

وستظل صورة السيدة **سوزان مبارك** موجودة على كل كتاب، وفى كل بيت تُذكّر كل مصرى أن الحلم الحقيقى ليس بالمال، وليس بالتهافت على الماديات، إنما هو «**المعرفة**» وبدون معرفة فى هذا العصر لا يوجد وطن، وإذا فقد الإنسان الوطن فقد ذاته.. بل فقد كل شىء يربطه بهذه الحياة.

د. سمير سرحان

اهداء

الى بسمات

وانس .. وشيماء .. وبراء

هل صار البحر غير البحر ؟!!

مُغْضَبَاتٌ هي الخيلُ
والبحرُ يدخل من فوهةِ الجرحِ
للقلبِ
عاتِبَاتٌ هي الريحُ
والحزنُ يركضُ من لجّةِ النفسِ
للنفسِ
والبحر لا ينحنى لأحد

يأتي من الأحزانِ مصهوراً بنار الجرحِ
مقتولاً ببدء الريحِ
يبتلعُ الشواطئ دائماً
وينامُ نَبْأً فوق صدر الرملِ
يرغى فجأة أو ينتفضْ
يُلقي لنا زبداً .. ويرحل في المساء

يأتي ويرحل
يأتي .. ولا يأتي ... ويأتي في المساء

وأنا غريبٌ عن ديارِ البحرِ
أشكو الخيل للأنهار
أشكو البحر للخيل
والخيلُ مُغْضَبَةٌ وتسأل
من أين يأتي البحر في هذا المساء ؟!

٣

يحاصرنى البحر فى حجرتى
ويغرقنى فى الجحيم
يستعبدُ القلبَ بعد القيامِ
ووقتَ الصعودْ
ويرحلُ فى التوَّ للنوَّ
والجّو مكتهلُ بالصباح
والخيل غرقى بأحزانها
لكن أحداقها طافحة بالسؤال
من أين يأتى البحر فى هذا المساء ؟!

كانت تكسَّرت المرايا

وانطوى ياقوتها

وتفرَّعت فى القلب

أنهار الليالى والذِكَرْ

وتمزَّقت فى الأفقِ أقواسُ المطرْ

فخرجْتُ أبحث فى زوايا الشمسِ

فى وهج المحيط عن البشرْ

لكن صوتاً رجَّع اللحن المعذَّب وانحنى

سقط المطر

سقط المطر ؟!

ماءٌ

ماءٌ وماءُ البحرِ ماءْ

ماءٌ ودمعُ العينِ ماءْ

لا البحر يرويني

ولا دمعُ العيونِ يَردُّ لي ذاتي

ولا ماءٌ غريبٌ عن بلادي

يغسل الأدرانَ في قلبي

ولا ماء المطر

وأنا أتيتُ أنا المياه

أنا من الأنهارِ أكْبَرْ

أنا من الآبارِ أَعمقْ

فأنا ابن ماء النيلِ في عشقِ الشجرْ

٤

البحرُ يُغريني فأحسِبه بحيرةْ
وأنا ولِدْتُ بشاطئ الفقراءِ
بين التوتِ والكافورِ
فوق التربةِ الحمراءِ
من وجعِ الجذورْ
وأنا ركبْتُ حمارةً
وصرخْتُ تلك بشارةٌ
رهطُ المسيحِ يحطُّ فوق شواطئ الأحبابِ
فانتظروا قُدومي
فتلاقتْ النظراتُ
والأحجارُ، والتُّهمُ الحديثةُ
والسكاكينُ القديمةُ فوق صدري

وأنا غريب عن ديار البحر
أحسبه بحيرةْ

جاء المساءُ
فقلتُ يا للهول
هذا الهولُ صامتْ
ورأيتُ تمثالينِ من حجرٍ
وشخص فوق قاعدةٍ يُشيرْ
قلتُ اتئدْ هذى ألاعيبُ الكلامْ
جاوزتُهم
كانت وجوهاً - كنتُ أعرفها على متنِ الحقولِ -
تجلّلتْ بالدرع والبارودِ وانتظرتْ مرورى
لبسوا قناعاً واحداً

قالوا

أَعِدْ قدميكَ

عُدْ من حيثُ جِئتَ

فتهامسَ الكافورُ وانكسَرَتْ مرايا مرةً أخرى

فجاوَزْتُ الشروخَ وقلتُ أمضى

وصرخْتُ فى قلبى تَثَبَّتْ

قال لا تيأسْ فإن حدائقَ الأحقادِ لا تعقدْ

فقلتُ لعلَّهاَ عَقدَتْ وصارتْ ماكلا

٦

كان أبو الهولِ فى رملهِ جاثماً

قلتُ لا تكتئبْ

قال عُدْ للوراء

بلادُ تسيرُ إلى البحرِ

أنتَ تسيرُ إلى الشمسِ

قلتُ لعلّى أعطى السؤال إجابة؟

فبكى وارتعشْ

- هو الآن يزفرُ ناراً تقلّصُ وجه الهواء -

قلتُ ابتسمْ

قال إذا وُلدَتْ بأرضِ بلادكم عذراءْ

كان حجمُ المصيبةِ أوسعُ من رقعةِ البحرِ
أعمقُ من كل جُبٍّ
ويتسعُ الآن قلبى
فيشرقُ فيه المساءْ
وأغرقُ فى البحرِ ثانيةً فى كَمَدْ
فالبحر لا ينتهى
والبحر لا ينحنى لأحد

٧

لماذا تمدّين حبل غسيلكِ
ما بين قلبى وقلبى
تُعلقُ عيناى كفيكِ فوق الحبال
ويرقصُ فى صفحةِ الكونِ بدرُ الرغيفِ
وفستقةُ البرتقالْ
تُكركرُ فى صحوةِ الفجرِ أنشودةُ السحرِ
من ثغركِ المتعتقِ بالخمرِ
هلّ انفلاتُ ؟

إلى أينَ ؟ والليل آتٍ ؟!!
وقلبي وحيدٌ بدربِ الليالي
ورائحةُ البحرِ لا تحملُ الخشبَ المتعطنَ
ولا تحملُ القادمينَ
- فما عَادَ فجرٌ يعذّبُ ليلاً بساعةِ ضوءٍ
لماذا ؟!
و كل الحكايا سبايا
وموجُ البحارِ كمائنْ
وعاشقتي في السفائنْ
بلا أي شَطٍّ
بلا أي خَطٍّ
ولا عقدةٍ للرياحِ تكونْ
وأسأل والبحرُ يصمتُ
والموجُ فى ألقٍ يبتعِدْ
فالبحر لا ينحنى لأحد

٨

هو الرملُ رملْ

وصفحةُ عشقٍ

وأنهارُ دم

وتاريخُ بعثٍ

وآياتُ موتٍ

ولكنه الرملُ رملْ

أُسَائِلُهُ يشتكى

ينثنى

يبْتَغى - من بلادٍ يُعَاوِدُهُ الجوعُ فيها -

الرحيلْ

فأسقيه من ماء قلبى

فيوقفه فى الضياءِ نخيلْ

وعانقنى لحظةً وانفتح
دخلتُ إلى عالم اللا نهاياتِ
من قوقعةِ اللا بداياتِ
فى اللا أوانِ
وفى اللا مكانِ
فكانَ وكانْ
وكانَ الهلالُ ذبيحاً
وكبشاً ذبيحاً
وشمساً تتوّجُ كل المكانْ
وأحجارُ مكةَ مصبوغةٌ بالدماءْ
وباب المدينة مشتعلٌ فى الفضاءْ
والقدسُ...... ؟!!
...برتقالةٌ ثقبتّها الرماحُ وتسقطُ منها- السماءْ
وهاجرُ من يومها فى اشتهاءْ
لقطرةِ ماءْ

ذهبتُ لوادى المليكاتِ
قلتُ السلامْ
قلن الدماءُ أو الطيبُ
قلت الذماءْ
تعمّدْتُ فى لجّةِ العائدينَ
وأُرْخْتُ فوق مسلاتِ مَنْفٍ
وعرّيتُ من كل لبسٍ
فجُلّلتُ بالتاجِ
والتاجُ إبن الدماءْ

الذماء : الرمق الأخير فى الحياة
الرمق الأخير من الروح

أريدُ الهواء°
تَسَرّبَتْ الملكياتُ
والخيلُ والعرباتُ
وأبناءُ مصر من الصخرِ
ينتسبونَ إلى الشمسِ
ينحدرونَ من الأمسِ لليومِ
واليومُ جَلَّلهُ الخزى
قلتُ الدماء°

تبسّم فرعون
قال الفراعين فى اليوم
قلتُ لماذا ؟!
قال هى الحربُ
قلت هو الجوعُ
قال هو النيل
قلت هو المجْدُ والسّدُ والإنتماء°

١٠

إنتظرتُكِ
حين خَرَجْتِ
تركتِ الهواءَ يجىءْ
وكان الهواءُ انكَسَرْ
وكنتُ أقلّبُ قوسين
نونٌ ونونٌ
وجيمٌ تؤرجحُ ساريةَ المرْكِبِ الخشبى
تَعُضُّ على الموجِ
والنونُ حاجبُ هُدْبٍ تَزَجَّجَ فى ساعةِ الشمسِ الليلِ ،
ألصقَ وجهَكِ فوق المرايا وراحْ
قلتُ
يَجِئُ مع الليلِ إنى هواهُ المقيمْ

لماذا تأخرْتِ ؟!

حين خرجْتِ ؟!

تركتِ الرياحَ تقولْ

وكنتُ أنا ضَائعٌ في الأفولْ

إنتظرتُكِ

إني إنتظرتُكِ عمراً يجاوزُ كل المدَدْ

سألتُكِ

قُلْتِ أنا البحرُ لا أنحني لأحد

. . .

وكان ضبابُ النخيلِ المقيمِ

يُراشِقُني بالسؤالِ إبتهاجاً

كطفلٍ مَلُولٍ مُمِلٍّ يعاندُني في المساءِ ويسألْ

11

النهرُ سيفٌ لا يراوغنى
ولا يبْقِى دمى
والبحرُ موتٌ غاضِبٌ
من أين لى
صبرٌ على موتٍ يُمِيْتُ وينثنى
باللوم للصحراءِ
والصحراءُ تاريخُ البَشَرْ

تتصَاعدُ الآياتُ والكلماتُ
فى ألقِ البنفسجِ تحتَ قلبِ الليلِ
مُوجِعَةً دمى
وتصادمُ الأحياء إن وجدُوا

و إن رحلوا

مضى فى الليل يبكى
ينحنى فوق الترابِ إذا إبْتَعَدْ
والأرض تهربُ من مياه النهرِ
تلجأُ للمحيطِ بلا زَبَدْ
والبحرُ يضحكُ غاضباً

لا يوقفُ البحر الجبل
لا يملكُ البحر الجبل

١٣

{ فى كل يوم كنتُ أبتاع الهوى جسداً وكأساً من عقيقْ
وأسطرَ الأيام مَحْبَرةً وأوراقاً
وعطراً من ملايين السنينْ }

وأنتِ على العمقِ فى الكأسِ
ضاحكةً فى وَجَعْ
وضالعةً فى الغيابْ
ونافرةً فى التملكْ
وقابعةً فى زوايا الحروفِ الأخيرةْ

لا تسكبى قلبى على جدرانِ شَهْوتكِ الرهيبة
لا تسكبى الأيامَ فى الهزعِ الأخيرْ
لا تسكبينى فى مياه الآخرين

● ● ● ●

نيلٌ يُجلْجِلُ ينحنى جسداً ويهربُ فى الرمالِ مُجَنَّحاً
يبكى ويهربُ فى الرمالْ
والرملُ فَكَّ عِصَابةَ الإمسَاكِ
صار مُفَرَّقاً
النيلُ مَدَّ يديه يُمْسِكُ بالرمالِ
ولا أحدْ

النيل نَزْفُ الشمسِ
دمعُ الأرضِ
آهاتُ النخيل°
عطرُ السماواتِ
البناتِ الكاعِبَاتِ
النّاهِداتِ
الحائِضَاتِ
الفاتحاتِ على الحقولِ
مزاهرَ المتعانقين°

النيلُ سيفٌ شامخٌ

لا يمتشقهُ سوى النّخيلْ

لا ترفعُ السيفَ الجليلَ سوى الحقول

النيلُ سيفُ الرعدِ

حِمْلُ البرقِ

حِبْرُ الأرضِ

مَجْدُ الرّبِ

حُلْمُ الحبِّ

صوتُ الحقلِ يهربُ رافضاً

ويرفُّ فى وادى الجنونْ

وأنتِ تغيبينَ فى الكأسِ

تزلقينَ مع البحرِ

والبحرُ يرصُدُنى عند بابِ الزجاجةِ

يغرقُ كل النوافذِ، كل المناضدِ

يُغرقنى بالزَبَدْ

فالبحر لا ينحنى لأحد

١٣

البحرُ شَعْرُ الأرضِ
تنثره الرياحُ على اضطّرابْ
في كل منعطفٍ زَبَدٌ
هَلْ مَرَّتْ السنواتُ بالأعمارِ
شَابْ ؟!

النهرُ قُبْلَةَ عاشقٍ
وشاطئاه
شَفَتا الحياه
زمنٌ يسافرُ في المداراتِ التي نُقِشَتْ عليها النونُ
نونُ الجَمْعِ لم يبقَ سوى فردُ الخواءْ
وبعضُ تَعْذِيبِ الدُماءْ
والنهرُ أُحْكِمَ سَرْجَهُ وطَفَتْ دماءْ

كان المضارعُ
فاتحاً كل الحروفِ على ضفافِ النيلِ منتصباً عَلَمْ
والأمرُ أَسْبَلَ جَفْنَهُ
وتوقَّفَ النيلُ الذى يَسْرى أَلَمْ
وأنا (أَنَيْتُ) مضارعاً
أبغى نويتُ مصارِعاً
لم يبق من تاء الأنوثةِ فوق كَفَّيَها
سوى نقشُ الخواتمِ فى أصابِعِهَا
وبَعْضُ الحيضِ فوق لفائفِ الدلتاَ
ونهْدُ ضامرُ .... ونداءُ ....كم ؟!
وتألَّقَتْ سفنُ المسافرِ للوراءِ وأَقفلَتْ

- ياليتها ما أقفلتْ -

بعمائمٍ بيضاءَ أو سوداءَ أو خضراءَ
أو حمراءَ أو لا شئ
فكل ما فوقَ العمائمِ ضائعٌ
وكل ما تحتَ العمائمِ مجهضٌ

لم يبقَ من هذا الجلالِ سوى بَديعِ الحرفِ
نَقْشُ الطَّرفِ

سيفُ الزَيفِ
ضَمٌّ وفتحٌ للبلادْ قلْ وتسكينٌ لحرفْ

الرسمُ يعنى الجسم لا يعنى الذى فى البحرِ
وكان البحرُ حقلاً من سهولِ الزُّرْقَةِ الخضراءِ
يُدكِنُ فى الليالى المقبله
والأرضُ فاتحةٌ
وبين يدى صَارتْ حامله

١٤

النهرُ سيفٌ غاضِبٌ
والبحرُ قَلْبُ المعركة
والأرضُ رَاحَتْ واخْتَفَتْ
وتَفَتَّقَتْ عن بوتقه

أويتُ من وَجَلٍ ومن جَزَعٍ
لأعلى قُلَّةٍ
قلتُ الصعودُ هو المحالْ
وتَنَسَّمَتْ روحى أريجَ البرتقالْ

قلة : هى أعلى قمة للجبل

وخططْتُ فوق الصخرِ إسمى

واسمُها

باء وسين

صاد وواو

– هل يصعد البحر الجبل ؟! –

– عَمِّقْ حروفَك فى الصخورِ

وقُلْ لها

أنتِ البقاء المستحيلُ

أنتِ الأجلْ

نبتَتْ حروفى سَوْسَنَهْ

نبتَتْ حروفكِ سوسنه

وغدا سيمتلئ الجبل
نورٌ ونوارٌ وصوتُ القَابلَه
ذكَرٌ وأنثى
أنثيانِ مع الذَكَرْ
- فَتِّقْ حنايا الصَخْرِ
وانشر أغنياتك فى السماءِ سحابةً
فلربما سقَطَ المطَرْ

والريحُ سَاكِنَةٌ وترقُبُ - عين ذئبٍ جائعٍ -
ما قد يكونْ
- لا يسْبِقُ الليلُ النهارْ
و لا البحارُ تَمَرْكَزَتْ فوقَ الجبلْ

هذا ضجيجُ الأغنيات°

أحفاد عمري والبنات°

ملأوا شعابَ القلْبِ في قلْبِ الجَبَلْ°

يا يأيها المترنمون   إني هنا

أولاد سوسنتي   وسوسنها

/ ونظرتُ نحو القِمّةِ الشّمّاءِ /

قلبي شراعٌ ناصِعٌ إن غابَ في يومٍ أمَلْ -

ورقَصْتُ

هاً جسدي لكل الأنْجُمِ الزهراءِ ملْوى

للفجر قد أعْدَدْتُ كل ولائمي

الصوتُ يعلو قادماً

لكنني فَرِحٌ ..فَرِحٌ ...فَرح ..فرِح .... فر....حُ

آه

البحرُ قد ركب الجبل !!

١٥

هذا المعَرَّجُ والمزَرْكَشُ
والمذَهَّبُ في ضمير البحرِ طينْ
إبريزُ طينْ
فِضَّة من جُثَّةٍ
لا شمسَ لا قمراً هناك
ولا أحدْ
موجٌ وصَمْتْ
ألفُ أنثى تَرتخي فوق المحيطِ
والموج يركب رأسهن
ولا أحد

أمددِ يديكَ ، وخُذْ خرائط قلبك المفتونِ بالأمواجْ
انزلْ فإن البحرَ طَوْعَ بنانِك المصبوغِ بالحناء موجْ

والبحرُ يزفُر أزرقاً
والموجُ يرعِدُ بالزَّبَدْ
لكن شوقاً غامضاً منْ سوسنه
ركضَتْ رمالُ الشطِّ تحتَ الماءِ عَاجْ-
ياقوتُ قلبى مَالَ شَدَّ جبالَ صدرى
لا مَسَ الصدرُ المياهْ

- البحرُ مزروعٌ بأذرعة الذين تَسَرَّعُوا

للبحرِ ما عرفوا المسيرَ أو السِبَاحَة -

- يابحرُ إنى عاشقٌ

اخفِضْ جناحَكَ للحَبِيبْ

وافتَحْ عيونك

كى أرى فيكَ الأمانْ

يا بحر .. ....

البحرُ يَضْحَكُ مِلْءَ شَطَّيهِ وفَاضْ

وأنا دخَلْتُ البحرَ مسلُوبَ الوِفَاضْ

والبحرُ كل الكونِ

كل الكون بحرْ

أين السماءُ ؟!

أين أنا وأين ؟!

والبرتقالاتُ الحوامِضُ سُكّراً

صرخَتْ دماء

لا البَحْرُ يُغسلِكُمْ

ولا تَنْجُو من البحرِ الدماء

و الرمحُ صَفَّرَ في الهَوَاء

وتَسَاقَطَتْ من قُبّةِ المُحْمَرِ

أصواتُ السَمَاء

غَيْمٌ على عينى
وملحٌ مِلْءُ عينى
قلبى فراتٌ طَابَ بين جَديلَتَينِ
وانثنى بين الحليبِ يَعُضُّ فى لهَبِ اللجَيْنِ
مجرى عروقِ الروحِ فى مجرى الحليبِ
وسُكْرُ الشَّبَقِ العَجِيْبِ
وشَهْوَةُ المتلاحِمَيْنِ

لانَتْ عوارضُها

فَاَوْسَعَتْ الطريقَ لرمحِ أعصابى

ورمحِ الأكشَحَينِ

فتقَاطَرَتْ فى البحرِ روحى

تنتمى للضفّتينِ

يا بحرُ هل شجرٌ معكْ ؟!

يا بحرُ هل نيلٌ معك ؟!

نيلٌ أنينٌ من جبالِ الصمتِ والفيروزِ

يأتى

ويرفُّ عبر البحرِ طين عكارةٍ

فى لون بشرتها

ولون جديلةٍ

صُلبتَ على شطِّ النّخيلِ ببلدتى
هذى دموعُ حبيبتى
غنّتْ بقلبِ البحرِ
بين العُشْبِ والمرجانِ
وتألقتْ من رُعْبِها فى صَوْلَةِ الأفْراسِ والحيتانْ
بحثتْ طويلاً عن دماءِ العاشقينَ
فلم تجدْ

إلا بقايا مركبٍ ، قيد جديدْ
سيفٍ تثلم من جراحْ

لكنها وجدَتْ رسالة

هى من بلادِ النيلِ من طمى العُكَارهْ

سبَحَتْ فناورها المقَنْدَسُ واختفى

وهَوَتْ زُجَاجَتُها على مَتْنِ الصُخُورِ

ولم تزلْ أملُ لهَا

لم تَتَكَسرْ

فالبحر قانونٌ

وتحتَ البحرِ قانونٌ

وفوقَ البحرِ قانونُ الأزلْ

١٦

(ما بال أهلكِ يا رباب خزراً كأنهمُ غِضَابْ
إن زرتُ أهلكِ أوعدوا وتَهِرُّ دونهم الكلابْ *)

والبحرُ يمْلِكُ سيفهُ
وأنا بلا سيفٍ أُهَابْ
والقلبُ يمْلِكُ حُزْنَهُ

علس ذى جدن الحميرى

والموجُ قد كَشَفَ النِّقَابْ
جُثَثٌ تلوحُ كأنها
خَيطٌ تعلَّقَ بالحَبَابْ
فتساءلَتْ وتساءلوا
موجٌ يرقِّصُهُ العِتَابْ ؟!
أمْ أنْ جُثَّةَ راقِصٍ
رَقَصَتْ على لحنِ العذَابْ ؟!
فَتَحَرَّكَتْ جُثَثُ الأحِبَّةِ
وارتَمينَ على الرمالْ
لا ماءَ يرقُصُ لا دماءْ
لا قلبَ ينبضُ لا غُثَاءْ
فالبحرُ يطوي سِرَّهُ
والبحرُ آخره سرابْ

هل كنتُ خضراً

حين أمنْتُ المحيطَ

وسرْتُ مثل الخِضْرِ فيه

والأخضرُ الفيروزُ قوسُ الشَّمْسِ صِبْغَتُهُ

ولونُ الدم فيه

والسماءُ تَقبَّتْ كفّاً

وكل البحرِ فيه

من عاجِ أسنانِ الضحايا

صار زَبَدُ الموجِ أبيضْ

ومن عظامه يسيرُ البحرُ

للملكوتِ أَسْرَعْ

لكن سر لا حيَّرَ المجهولَ في دمنا

وكان الطينُ أعمقْ

مَنْ يُجْبِرُ الأرضَ التي سَارَتْ

طَواعِيَةً إلى البحرِ الهاجِمْ ؟!

هل يشربُ البحر النُهَير ؟

وهل يُبادله البضَاعة ؟

البحرُ مَضْمَضَ شاطئيهِ

بألفِ نهرْ

والبحرُ يَبْصُقُ جُثَةً في كل يوم

هي جثَةُ النهرِ الغَرير

فلا يخافُ البحر نهر

١٨

هو البحرُ
ظِلُّ التماسيحِ
صوتُ التباريحِ
هَذْرُ البناتِ
وضِحْكُ النساءِ
وفرحة أطفالنا بالمطرْ
وظَهْرُ الحصانِ إذا ما انْخَفَضْ
على وترِ الجِنْسِ شَدَّ الوترْ

فتصهلُ في الذكرياتِ البلادْ

وتَغْرقُ فى حزنها العاديات°
فيرتَعِدُ البحرُ فى شُرْفَتَى
وينْزِلُ من باحةِ الغُرْفَةِ
يُحَطِّمُ كلَ نجومِ الحكايا
يُكَسِّرُ بدراً بَدَا غارقاً
تأملَ فى الموجِ وجه المرايا

فتغْرَقُ فى الدمِ شمسُ النهارْ
نَفيرَ القيامة أو برتقالْ
وصَمْتٌ يَضُجُّ على السامعين°

وتَصْهَلُ فى الموجِ كل الخيولْ
تعانقنى ويطولُ المسيرْ

١٩

حروفٌ تناثرْنَ فوق المياه
بقايا الحكاياتِ للغارقين
فهل كنتُ فى لجَّةِ العائدين
أم الرَّجْعُ كان دماءً وطين
تعالىْ رباب
زمانٌ وآبْ
يُفَتّحُ فى القلبِ باباً وبابْ
فلا تغلقى البابَ دون الصِحاب
ولا تكسرى القلبَ فوق الزجاج
ولا ترسمى فى المرايا الغياب
فلا البحرُ يأتى من النافذة
ولا الحُبّ يوقِفُ نَزْفَ العِتابْ

وكنتِ تمدينَ قلبَكِ بحراً
وثديَيكِ نهراً
وشاطئ عكّةَ شاطئكِ المستطَابْ
لماذا الغيابْ ؟!

هو البحرُ ماذا تريدينَ مني
تَوَقَّفَ فوق المرايا وغَابْ
وكنتِ إذا حاصَرَ البحر خيلُ المحيطْ
تَمَطَّى على النَهْدِ منكِ الزَّبَدْ

فهل قاوم البحرَ فينا أحدْ ؟!
وهل ضَيَّع البحر منّا أحد ؟
وهل يملكُ البحر منّا أحد ؟
وهل يعرفُ البحر فينَا أحد ؟

٣٠

سأفتح شَطّين
قَوْسَيْن
أكتبُ بَحْراً
وأرسمُ عينَيكِ ما بين قَوسين
بين الرِبَاطْ
فتضحَكُ موجات ثغركِ فوق القِمَاطْ
كطيبِ الحُنُوطْ !!
لماذا نَمُوتْ ؟!

سؤالُ القوافلِ والصافنات الجِيَادْ
ونوقُ العصَافيرِ من آل عَادْ
وذاتِ العِمَادْ
وفرعونَ رغم العِنَادْ

رباب هي البحر ضمّ الفراعينَ

كل البراكينِ

كل الحياةِ وكل الجَمَادْ

وَنَقْذِفُ في اليمّ طفلاً فَعَادْ

فهل مِنْ ....(مَعَادْ) ؟!

تعودُ رباب

وتمسح وجه الزجاجْ

فَتَسَالُ في غَفْلَةٍ واتّقَادْ

هل البحر عادْ ؟؟

عِنادٌ عِنادْ

أجيبُ : يَلُمُّ المراكِبَ والسائِحِينَ

وأحجار مكّةَ و العائدينَ

وقُدسُ السّفَرْجَلِ والياسمينَ

وحِطّينَ حطين حطين حِطّينَ
كل الحكايا دماء وطين

وأين ذَهَبْ ؟!
يُرافِقُهُ في المسيرِ اللهَبْ
ويركَبُ وجه الغَضَبْ
ويقذِفُ في هامةِ السائلينَ
حطام الرمادْ
عناداً وطين.

٣١

أَبُلِّغْتِ أني اشْتَهَيْتكِ

ليلةَ أَمسْ

وكانت خيولُ تحمحم من شهوةِ الجسدِ

المتزاحِمِ بالأرجُوانِ وبالنار

تَقْفزُ فوقَ الفِرَاشِ وتحتَ المطر

وكانَتْ مواقيتُ عِشْقٍ

بواتيقُ نارٍ

تُعَشِّشُ في إبطَيَّ

وتمنعُ قلبي إذا ما صَمَدْ

لماذا أَضَعْتِ الحياةَ المدَدْ ؟
فما عُدْتُ أذكرُ ثغرَكِ فى وَمْضَةِ السَّيْفِ
فى لمعة الزيفِ
فى رَجْفَةِ الخوفِ طُولَ الأَمَدْ

فَعَبْدُ المياهِ سَجَدْ
والبحرُ فى المطلقِ الآنَ لا ينتمى لأحدْ.

٣٣

صمتَ الليلُ طويلاً
وتأرجَحَ فى شُبّاكِ الوقت
- هل كنتَ تداجى البحرْ ؟
- لا ...بل صرتُ أنا البحر
مدّ يديهِ إلى علياءِ الكَونِ
أمَالَ عناقيدَ الأنجُمِ والأقمَارِ
وألصَقَ قُبلتَهُ فى نجمٍ لِكعٍ
يتثنى من وَجَعٍ

وألصَقَ دمعتَهُ فى قمرٍ شتوى ينغرسُ الآن بقلبى
- فى قلب البحر -

قال : تمنيتَ المطلقْ

سِرْتَ إلى المفردْ

أخرجْ من شَطَّيكَ وسِرْ

قلتُ : إلى أين ؟!

ضَحِكَ الليلُ وَجَلْجَلَ صوتُ الدَّمْعِ

بضحَكته

فازدادَ حِصَارُ الشطآن بقلبى

٣٣

اسْتَنَدَ الفجرُ على جِذْعِ النَّخْلِ الغارقِ فى أدغالِ البحر

- هآ قد جِئتَ

وكنتُ أُفَتِّشُ عنكَ

- أَضَعْتَ مواعيدَ العِشْقِ

وأَقْفَلْتَ موانى الوقت

وجئتَ تطاردنى

- هل تبقى شُعَلُ النارِ بقلبِ البحر

قلتُ:

لقد صارتْ وَهَجاً

قال: وَهَجاً منطفِئاً

وَزأرتُ بقلبِ الموجِ
ورُحْتُ أُقَلِّبُ فوق رمالِ الشاطئ غَضَبى
وكنتُ أحاولُ إشْعَالَ مصابيحِ الضوءِ بقلبى
- من أَنْضَبَ زَيتى ؟
من أَفْرَغَ مسرجتى ؟

كان الفجرُ يسافرُ فوق خيولِ الأحزانِ وَيرْحَلْ.

٣٤

ورُحتِ تَعِدّينَ عظم الضَحَايا
وتبكينَ فى القاعِ بين النَفَايا
وتلهينَ بالطحلبِ الغضِ فى الماءِ
رغم ارتعاشِ الصُّوَرْ
لا تلهثِ خَلْفَ برقِ البداياتِ
فالرعدُ فى النهاياتِ
لا يشبهُ الموتَ وقتَ اندلاعِ المطَرْ
ربابٌ تعودُ بها ألفُ نجمٍ تعلّقَ فى ثوبها المخملى
يرافقُهَا القِرْشُ، تَلْهُو بباب الحكاياتِ /

لا تأمنى يا رباب لبابِ الخَطَرْ
/ وضَاعَ الصَدَى والحَذَرْ /

تدفَّقَ خيلٌ
و موتٌ
و دمعٌ
وأرضٌ بها ألف رمحٍ
ووجهى بها طافحٌ بالشَّرَرْ
فعاودَتْ القلبَ أوجَاعَهُ
وتمطَّى على الوقتِ خيلُ السَّفَرْ.

٣٥

وكنتُ ألقّحُ رملَ الشواطئ بالخِصْبِ
لكن تَظَلّ على الجَدْبِ
هل يملك البحر غير الملوحةِ
والريح
والسَّمك في الأرض وقت الغضبْ ؟!!

٣٦

ثمانونَ عاماً

وسبعونَ قرناً

وكنتُ أُزَوِّجُ نار الليالى بفجرِ المَطَرْ

وأُطْلِقُ للبحرِ موج الخطَرْ

وأفتَحُ قلبى إتساعاً لكم

فيُرْشَقُ بالغَدْرِ حتى انْشَطَرْ

وكان على البَرِّ طفل يصوب طَلْقَتَهُ للمحيطِ

فتتكَسرُ الشمسُ فى حُضْنِهِ والبَشَرْ

غلالةُ موجٍ على الرملِ تَسْعَى

تحركُهَا الريحُ فى كل وادٍ

وَيَجْذِبُهَا البحرُ لا تستقِرْ

٣٧

تَمُرِّينَ عاريةً فى المرايا
وتبقينَ ذاكرةً للوَجَعْ
أرى وجهَ أُمى
ووجه الضَحايا
ومن أَسْلَمُوا للبحارِ الأمانْ
وحَبْلُ الرجاءِ انْقَطَعْ

٣٨

حم ، ص ، سين

أَسْتَعِيْذُكِ بالوَعْدِ

لم تكن الجيمُ جَحِيمُ الوَجْدِ

ولم تكن النونُ دماءُ العَهْدِ

ولم تكن السفُنُ ولائمنا وغنائمنا

وخرقْتُ سفينتهُم عمداً

فتَوَجَّعَ نَهْدُ وتأوهَ شَعْرُ ليلُ

وتَأَلَّه فوقَ بريقِ الثَّغرِ الخَوفْ

وتَعَمَّدَ فى قَلْبِ الماءِ البركانَ المَوْجْ

تَعَمَّدَ بالقَحْطِ

والجدب إن الإنسانَ لفى سجنٍ

إلا من رَكِبَ الموجَ
أمن غضَبَ البحرِ
فسينجو من جَذْبٍ
وسيهلكُ فى العُمْقِ

والأرض وروح الصحراءِ الجدبَاءِ الجربَاء القَحْطْ

لن تمضِى عارية طول العُمْرِ
وسيسكُنُكِ العشقُ
وينتفخُ البطنُ الوعدُ

فالبحرُ عقيمٌ عِقَمَ النَجْم
والنهرُ فعولٌ فى مَوْجِ الكَدِّ
والشُطآنُ حواريونَ وأنصارٌ
وعيونٌ تَتَخَلَّى عن زِنْدِ الرَعْدِ
إذا بَرَقَ السيفْ.

٣٩

لماذا تَحِلّين كل جدائلك الآنَ
في حضرتي
وداخلَ روحي شمعُ اغترابي
على مهلٍ ذابَ في الخاصِرَه
فلا تَفتّحي النارَ للموجِ
لا تَقْفلي النار للموجِ
قليلٌ تَشَعّبَ في داخلي
وأَغْرَقَ موجات قلبي
وسَطّرَ فوق سُطُورِ الحقيقةِ وَهْمَ التمني

جَدَائلك من سُطُورِ التمني
وحبرُ الليالي العقيمه

رباب؟
لماذا الخواءُ الخلاءُ يعذّبنَا والشواطئ ؟
لماذا الملوحة تَسْتَعْذِبُ النهرَ
تَشْرَبه دَفْقَةً دفقةً ككأسِ النبيذْ ؟
لماذا التلذُّذُ باللذّةِ الآن ؟
ودمعُ عيونك ملحٌ
أكانت عيونك بحراً ؟
وقلبك نهراً ؟
و ثغرك قبراً ؟
– عشقتُكَ حين تكونُ النّخيلُ
أو النّيلُ
كل البلادِ
وكل العبادِ
وكل النباتِ
وكل الشّجَرْ

٣٠

(أ)

ربابٌ تَكَسَّرَتْ فيَّ ملايين سوطٍ

وألف مدىً

وعيونُ المفَاصِل فى الخَاصِرَه

وكنتُ أَمدُّ حروفى أُطَلّسِمُ كل حروفَكِ

حتى تمرَّ الحروفُ من العَسَسِ المتكتلِ

فى الأرضِ والطَائره

وأكتبُ عين ميم
ومن يَتَسالُ عن نبأ
فسيعلمُ أبنا ءنا الفَاصِلَه
وأعرف أن السيوفَ الحروف
الألوفَ ألف
وباءُ منقّطة بالجحيم
تَكمُنُ في إسْتِهَا قنبلة
لهذا زَهَوْتُ عليكم باسمى

فلا حرف تَثْقُبُهُ نقطةٌ
ولا شيء يعلوه أو فاصِلَه
لذا انتَسَبَ البحرُ لى
بما عُلَّ فى بائِه مرةً
وعُلَّ بياءٍ إذا أبْدَلَ الثَّوْبَ
صار على المدّ - يَمّ -
فَصِرْتُ أنا ذكرُ البحرِ والنهرِ والأرضِ
صرتُ أنا الأمُ والقابله ؟

٣٠

(ى)

وأنا بقلبكِ يا رباب
قوسٌ يعذّبه الغناء
نخلٌ على أفقِ السماء
نهرٌ يعذّبه العناء
خيلٌ تمزّقها الدماء
خطرٌ يلوحُ فنسألُ

من أين يأتى البحر فى هذا المساء ؟!

(١٩٨٥)

تم نشر المقاطع الآتيه:

(١) - (٦) إبداع ديسمبر ٨٦

تحت عنوان قصيدتان

(٧) - (١٠) الموقف العربي أبريل ٨٧

تحت عنوان من أين يأتي البحر

(١٠) - (١٥) الطليعة الأدبية سبتمبر وأكتوبر ٨٨

تحت عنوان ألم

(١٦) -(٢١) الطليعة الأدبية سبتمبر وأكتوبر ٨٧

تحت عنوان حزن

وتكرر نشر (١٦ ، ١٧ ، ١٨) بمجلة الكويت يوليو / سبتمبر / ١٩٨٧.

صدر للشاعر

١- تحولات فى زمن السقوط ديوان شعر ١٩٨٦

الهيئة العامة للكتاب نفد

٢- تداعيات العشق والغربة ديوان شعر ١٩٨٨

الهيئة العامة للكتاب نفد

٣- على باب كيسان "غيلان الدمشقى" مسرحية شعرية

الهيئة العامة للكتاب

١٩٩١ الجائزة الثانية للمسرح.

٤- نقيق الضفدع رواية - روايات عربية الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٨

تحت الطبع

١-	تجليات حرف الصاد	ديوان	شعر
	الهيئة العامة للكتاب		
٢-	الرؤيا والوطن	ديوان شعر	أصوات أدبية
٣-	الغواية	قصيدة طويلة	
٤-	عمى القلب	رواية	الهلال
٥-	العم حفنى	رواية	مختارات فصول
٦-	أوجاع الطين	رواية	
٧-	عودة المحارب	مسرحية شعرية	أدب الحرب

٢٠٠٤ / ١٦٥٨٢
I.S.B.N 977-01-9307-0

